

إشكالية التربية الاسبرطية الاثنية معالجة حسب فكر فرنسيس بيكون

م. د رشيد احمد السامرائي

جامعة سامراء/ كلية الآداب/ قسم التاريخ

الاختصاص العام/ فلسفة

الاختصاص الدقيق/ فلسفة تاريخ وحضارة

rashidalsamarray@gmail.com

المستخلص:

في هذا البحث هناك تناولت دور التربية في بناء الدول، ومساوئ اتباع منهج معين فيها ومحاسن اتباع منهج معين في دول اخرى. فأخذت النموذجين الاسبرطي والاثيني في دراسة مقارنة، وكيف ان الشعوب المحاربة تعيش في تعاسة حتى المنتصر منها، كما في النموذج الاسبرطي، وكيف ان النموذج الاثيني عم عليهم الخيبى وعلى المجاورين باتباع منهج اخر نتيجته التطور والرفاه والاهتمام بالآداب والعلوم والفنون والفلسفة. واهتمامي بالموضوع ذلك لأننا نجد اليوم كثير من الدول تحاول اتباع المنهج الاسبرطي، وشعبها يعيش في فقر وتعاسة. كلمات مفتاحية: (التربية الاثنية، التربية الاسبرطية، فرنسيس بيكون، اطلنطس الجديدة).

The problem of Spartan ethnic education is addressed according to the thought of Francis Bacon
Dr. Rashid Ahmed AL- Samarra
Samarra University / College of Arts / Department of History
General Jurisdiction / Philosophy
Jurisdiction / Philosophy of History and Civilization

Abstract:

In this paper, I dealt with the role of education in building countries, the disadvantages of following a certain approach in them and the advantages of following a certain approach in other countries. So I took the Spartan and Athenian models in a comparative study, and how the warrior peoples live in misery even the victorious ones, as in the Spartan model, and how the Athenian model prevailed upon them and the neighboring countries by

following another approach that results in development, well-being, and interest in literature, science, arts and philosophy.

My interest in the subject is that because today we find many countries trying to follow the Spartan approach, and their people live in poverty and misery.

Key words: (Ethnic education, Spartan education, Francis Bacon, New Atlantis)

المقدمة:

إنّ نموذجي التربية الاثنية والاسبرطية دائما يشطر الفكر التربوي بين مؤيد ومعارض ، ولازالت لهذا او لذلك مما يخلق مشاكل له وللجوار . فهي تتبع النموذج الاسبرطي رغم مساوئه، وتحاول حل كل المشاكل التي تواجهها داخلية او خارجية، حلولا عنيفة او ابتزاز لدول، والنموذج الاثيني موجود من يتبعه . وهناك دول في عالمنا اليوم تتبع نظاما يحل مشاكله الداخلية والخارجية دائما بأساليب عنيفة، او ابتزاز للدول. كما في التربية الاسبرطية مما يجر الولايات على تلك الدولة وشعبها ومن يجاورها. مما يسبب ماسي يعاني منها واقعنا اليوم. وبعضها وبعد خسارتها في الحرب، غيرت منهجها اتبعت المنهج الاثيني في التربية، فعاشت في ازدهار ونعيم وامان، والنماذج كثيرة ، وسنحاول بيان مساوئ هذا، ومحاسن ذلك بأسلوب علمي منهجي ليتضح.

وأجد ان واقعنا المضطرب اليوم بحاجة الى دراسة بناء الدولة حسب نظريات الفكر الفلسفي ومطابقتها مع واقعنا او النماذج الموجودة حاليا السيئة والجيدة، من اجل الاستفادة من نظريات الفكر وتطبيقها على تجارب الواقع، واستقراء اسباب الفشل والنجاح بالمقارنة بين النماذج

ولهذه النماذج من التربية نجد ان فرنسيس سيكون له وصف لأنظمة الحكم ينطبق على هذه الانظمة، ولديه مقولة (ان المعرفة قوة) وترتكز حولها كل فكرته في يوتوبيا اطلنطس الجديدة. وان القوة في العلم وليس في السلاح ولا في تجييش الجيوش، الذي يعاني منه عالمنا او مجتمعنا العربي الاسلامي اليوم. وله معالجات تتناقض ما جاءت به هذه الحكومات

تساؤلات البحث

- ١- كيف ان دولا اليوم تسير على منوال التربية الاسبرطية؟
- ٢- ما العوامل التي تجعل نموذج التربية الاثنية مثالا في ايجاد الحلول.؟
- ٣- ما افكار فرنسيس بيكون التي تجعل من صراع الانسان مع الانسان وبالا عليه، وصراعه مع الطبيعة مفتاح الخير؟

الفروض

- ١- الشعوب التي سارت على النموذج الاثيني في التربية ارتقت
- ٢- النموذج الاسبرطي هناك من يتبعه في عالم اليوم
- ٣- الشعوب التي تحكم بالنموذج الاسبرطي تعيش الولايات في كل العصور .
- ٤- ان افكار فرنسيس بيكون تفسر سبب رقي التربية الاثنية ونجاحها.

دراسة تاريخية لمواجهة إسبرطة مشكلة زيادة السكان

التربية او النظام الاسبرطية هي امتداد للتربية اليونانية القديمة العنيفة التي تمجد الروح العسكرية، حيث ان كل الشعب مجندا للحرب ولخدمة النظام القائم، وبعد تزايد عدد السكان في اسبرطة في عصور متأخرة، كما حصل في اغلب دول او مدن

اليونان، ومن المعلوم ان اسبرطة محصورة في منطقة جبلية وليس لها سواحل بحرية، فما كان منها الا ان أشبعت "إسبرطة" تحدي جوع سكانها إلى الأرض بالهجوم على جيرانها من الإغريق القريبين وفتح بلادهم، ولم تحصل على أراضيها الإضافية إلا بثمان الحروب المدمرة المستمرة، مع أناس يجاورونها ومن شاكلتها، ولكن ليتغلب الاسبرطيون على هذا الوضع جعلوا الحياة الإسبرطية حياة عسكرية كلها من الرأس إلى القدم، وقد فعلوا ذلك بأحيائهم فاتخذوا نظامًا اجتماعية بدائية كانت شائعة بين عدد من الجماعات الإغريقية القديمة، في الوقت الذي كانت فيه تلك الأنظمة على وشك الزوال في "إسبرطة" وفي أمكنة أخرى كذلك^(١). لقد كانت الحرب هي الحل الوحيد الذي اعتمده وهو اسوء الحلول، ولا زالت هناك بعض الدول تتبع ذلك المنهج لحد اليوم.

ومن مساوئ الحكم الاسبرطي ان أسبرطة تجنبت بل رفضت النقود وابتدعها مثل رفضها للفن والشعر، وبعد مائة سنة اي ثلاثة اجيال من عمر البشر انتهى الفن الاسبرطي ومات^(٢).. ان اسبرطة بذلك لم تسهل حياة شعبها، بل تزيدها صعوبة ولم تهتم بذلك. فالدول المحاربة لم ولن تترك تراثا.

الاسبرطيين رهنوا انفسهم للانتصار.

إن المسييون قد واجهوا تحد كبير، فاخرجوا استجابة لذلك التحدي، ومقاومة بكل أشكالها حتى اصبح المنتصرين الإسبرطيين هم أسرى نصرهم، ومجندين للمحافظة عليه. حيث ان اسبرطة سحقت التمرد المسييني بسبب خيانة حليفهم احد ملوك اركاديا، واعيد المسييون الى حالة العبودية، حيث كان عليهم دفع نصف منتجاتهم

(١) اندريه روبرت بيرن، تاريخ اليونان، ترجمة محمد توفيق حسين، كلية الآداب ج بغداد ، بغداد، ١٩٨٩، ص١٢٥.

(٢) اندريه روبرت بيرن، تاريخ اليونان، ١٩٨٩، ص١٢٧.

للإسبرطيين، ولم ينج منهم الا من هرب الى بلاد اخرى. و اراد الإسبرطيين من ذلك سحق المسينيين روحيا وجسديا. ولم ينسى المسينيين حريتهم ويعرف ذلك الإسبرطيين^(٣).

يقول ارنولد توينبي: "أنه عندما يفتح الإسبرطيون مسينا في الحرب الأولى لكي ينعموا بحياتهم، ومن أجل الاحتفاظ بمسينا. فإن سيطرتهم على مسينا تجبرهم أن يعيشوا عبيدًا صاغرين لهذه السيطرة من ذلك الوقت فصاعدًا، إن الإسبرطيين أعدوا أنفسهم للقيام بدورهم بتغيير الشرائح الموجودة لتلائم ضرورتهم الجديدة"^(٤)

ان الإسبرطيون استجابوا استجابة تحدي حين تكاثر السكان، فكان الحل الاعتيادي عندهم هو الاستعمار وتوسيع رقعة الأرض، في القرن الثامن قبل الميلاد فكان اليونانيون يستعمرون الأراضي عبر البحار، ويستعبدون البرابرة ولكن إسبرطة لا تملك ساحلاً على البحر، فعملوا على غزو جيرانهم من الإغريق المسينيين، فكانت الحرب المسينية الأولى من ٧٣٦ إلى ٧٢٠ ق.م. والحرب الثانية أقصى منها كانت في حدود ٦٥٠ إلى ٦٢٠ ق.م حين ثار المسينيون على سادتهم بعد أن استفزتهم النكبة والبلوة، فأخفق المسينيون في نيل حريتهم إلا أنهم نجحوا في تحويل سير التطور الإسبرطي بأجمعه، فكانت الثورة المسينية تجربة مرة وقاسية، تركت المجتمع الإسبرطي مصفدا بالحديد والبؤس، فعجز الإسبرطيون بعد ذلك على أن يذوقوا طعم الراحة، أو يستريحوا من آثار ما بعد الحرب، فقد أصبح الإسبرطيون الفاتحون أسرى للنصر الذي تحقق، فحملوا السلاح للدفاع عما حققوه من تفوق ليحتفظوا بتلك الصفة أو السمة بين اليونان، فكانت نتيجتها وبالاً عليهم^(٥)

انه نموذج لا يجلب الا الدمار والخراب.

(٣) رشيد احمد السامرائي، تصور ارنولد توينبي وليدل هارت للتاريخ بين الالية التربوية والتفسير العلمي، اطروحة دكتوراه، جامعة حلوان ٢٠١٨، ص ٨٩- ٩٠

(٤) رشيد احمد السامرائي، المصدر السابق، ص ١٢٢

(٥) رشيد السامرائي المصدر السابق، ص ١٢٢

الدولة العسكرية تهدم ذاتها

إن النظام العسكري يهدم نفسه بنفسه ويهدم الدولة والمجتمع معه، أن الدولة ينبغي ألا تدرب نفسها على فنون الحرب ناظرة إلى إخضاع جيران لها لا يستحقون أن يستعبدوا، إن الهدف الأسمى لأي نظام اجتماعي يجب أن يكون سنّ قوانين عسكرية ككل القوانين الأخرى مدخلاً في حساباته ظروف السلام حينما يكون الجندي خارج الخدمة، أما الدول العسكرية فتصلح للبقاء طالما بقيت في حرب، بينما تسير إلى الدمار بمجرد أن تنتهي من غزواتها. إن السلام يتسبب في جعل معدنها يفقد صلابته والنظام الاجتماعي الذي لا يعلم جنوده كيف يتصرفون في حياتهم حين يتركون الخدمة إنما هو نظام معيب^(٦) النظام العسكري لا يعيش الا بالحرب، من خلالها يهرب للأمام من المشاكل التي توجه الشهب، ويجعل الشعب مشغولا بمشاكل يعتقد انها اهم من بناء حياة كريمة لذلك الشعب. وتجعل مصير الشعب على كف القدر..

دراسة تاريخية لحل اثنا مشكلة تكاثر السكان

ان النظام الاتي كان مثالا للديمقراطية المبتدئة في ذلك الزمن، ومثالا للحكومة التي تبحث عن حل لمشاكل شعبها. وحاولت حكومتها تفضيل مصلحة المواطن على سواها من النزعات والنزوات لدى الحكام. أن استجابته أثينا لمشكلة تكاثر السكان بوجه يختلف عن غيرها، فعملت على تصدير إنتاجها من الحاصلات الزراعية، وشرعت بإقامة الصناعات للتجارة الخارجية أيضاً، ثم طورت أنظمتها السياسية وتوزيع السلطة، وذلك كي يتفادى رجال الدولة الأثينيون الانقلاب الاجتماعي، بأن حققوا نجاحاً في انقلاب اقتصادي. وأنهم باهتدائهم إلى حل هذه المشاكل سهلوا الامر لسير المجتمع الهليني بأجمعه، وهذا ما عناه "بريكلس" عندما ادعى لمدينته أثينا، إبان الأزمة التي أصابت مصيرها المادي، أنها كانت "معلمة هيلاس" أي اليونان^(٧). وهذا

(٦) رشيد احمد السامرائي، المصدر السابق، ص ١٢٤

(٧) ارنولد توينبي، بحث في التاريخ، ج ١، ترجمة طه باقر، مطبعة وزارة المعارف، بغداد

١٩٥٥، ص ٦-٧.

هو الحل النموذجي الذي يحل المشكلة بدون خلق مشاكل أكبر منها استجابة، للتحدي ولكن بشكل مدروس ومخطط له، لكي تتعم اثينا بحياة مستقرة وتكون معلمة اليونان والعالم. فالخير الموجود يكفي الجميع.

نجد ان اندرو روبرت بيرن في كتابه تاريخ اليونان يؤكد كانت قد نظر تبيزيستراتوس للزراعة والصناعة في اثنا حيث كان صغار المزارعين يستدينون مبالغ من المرايين ليزرعوا مواسمهم، وعندما لا يستطيعوا ارجاع المبالغ فان التجار يستولون على ممتلكاتهم وارضهم بالقانون، واذا لم تكفي قد يستعبد صاحب الارض معها، ويصبح عبدا في ارضه وبعد صولون استلم الحكم في اثنا بيسريسترانوس وكان حاكما عادلا عمل على استقطاع ١٠% من واردات الفلاحين وتوزع مبالغها قروض ميسرة للمزارعين الصغار لشراء محاربيث وثيران وغيرها مما يحتاج لزراعة ارضة بدون فوائد على شرط ارجاعها. وارجوا تلك المبالغ، وازدهرت الزراعة ازدارا عظيما^(٨)... هذه الخطوة من الدعم تقوم افضل الدول في الاقتصاديات الحديثة.

هنا كان صراع اثنا صراعا مع الطبيعة، وكيف استطاع الاثنيون تحويل كثرة السكان الى طاقة ابداعية. وكيف ان الموارد القليلة قد كفتهم وزادت عن حاجتهم. فالصراع مع الطبيعة مأمون النتائج ويعطي خدمة للجميع، فكل من يقوم بخدمات او انتاج او صناعة شي ، هو يحول شيء طبيعي الى صورة اخرى وهذه الصورة مطلوبة في السوق. فالصين رغم عدد سكانها الضخم تحولت الى ثاني اقتصاد في العالم، وبعد ان كان قبل عشر سنوات ٢٠٠ مليون تحت خط الفقر، اليوم لم يتبقى سوى ٥٠ مليون، اي انها في تطور وعدد السكان يتحول لطاقة انتاجية.

(٨) اندريه روبرت بيرن، تاريخ اليونان، ترجمة محمد توفيق حسين، كلية الاداب ج بغداد ، بغداد، ١٩٨٩، ص١٢٧.

فخلال حكم بيزنطوس واولاده لاثنا تطورت صناعات اثنا وتجاريتها للفخار وسيطرت على الاسواق العالمية، والنحت في اثنا ازاداداً رقياً وتطور ومهارة. وظهر سنة ٥٣٠ ق م الفن في رسم الاشخاص باللون الاحمر على الزهريات بدل الاسود^(٩). هنا صبحت اثنا في صراع مع الطبيعة وليس صراع مع اناس اخرين، حيث ان افضل صراع هو الصراع مع الطبيعة.

الفرق بين النموذجين

ونجد ما فعلته اثنا سابقاً فعلته سنغافورة والصين وفيتنام وتايلند تايبان وماليزيا ودول كثيرة في عالم اليوم، ممن كانت تعاني من كثرة السكان، فهذه الدول حولت صراعتها الى الطبيعة، وتركت كل انواع الصراعات الاخرى، وجهودهم تركزت على تطويع الطبيعة، بالصناعة وتحويل معادن رخيصة القيمة الى اشياء مطلوبة عالمياً، وتم بها غزوا اسواق العالم.

هنا نجد ان الفرق كبير بين النموذج الاثيني والاسبراطي في مواجهة مشكلة تكاثر السكان، فالحل الاثيني حل نموذجي، اتجه للصراع مع الطبيعة وطوعها وسخرها لخدمة الانسان واليونان جميعها، حيث كانوا يقدمون خدماتهم وسلعهم المصنعة ويجنون الارباح والجميع يعيشون في سعادة والكل مستفاد، عبر تطويع السلع بتحويلها وصناعتها، وهذه هي جزء من السيطرة على الطبيعة. واصاب الاثينيين خيراً وفيراً، حتى اتجهوا للعلوم والفنون والآداب والفلسفة وغدت اثنا معلمة اليونان.

اما الحل الاسبراطي فكان وبالا على الشعبين الاسبراطي والمسيني، لم يجلب غير الموت والدمار والبؤس والشقاء. وحتى الشعب المنتصر (اسبراطية) لم يعيش في رخاء

(٩) اندريه روبرت بيرن، تاريخ اليونان، ١٣٦٠ .

وغنى او هناء او راحة، فلم الحرب والسيطرة. ولم تترك اسيرطة او مسينيا اية تراث علمي للعالم، وذلك بسبب انشغالهم بالحروب والقتال.

ان اسيرطة تمثل هنا النموذج السيئ من انواع الحكومات التي وصفها فرنسيس بيكون وكيف ان محاولة الحاكم فرض السيطرة على شعبه اسوء انواع الحكم، والسيطرة على الدول المجاورة، اهون من الاولى ولكنها ايضا سيئة. (النموذج الاسبرطي يمثله)، وافضل انواع الحكومات التي ذكرها بيكون، هي التي تحاول فرض سلطتها على الطبيعة ومشغولة بذلك ولا هم لها غيره. ويمثله النموذج الاثيني.

حب السيطرة بواسطة الحرب وبناء المجد الزائف بناء على حسابات غير دقيقة، من قبل بعض حكام بعض الدول وقد يعلمون او لا يعلمون ان بلادهم تخسر اضعافا مضاعفة اكثر من الفائدة، ولكن مصالح الحكام قد تتغلب على مصالح بلدانهم. وهذا غاستون بوتول في كتابه(هذه هي الحرب) يقول" ان الحرب في نظر رجال السياسة حل سهل قبل كل شيء، فحينما تلتبس الحالة الداخلية وتستعصي لا يمكن توضيحها الا بإعلان الحرب. فالحرب تعفي من بحث اتفاقات شاقة طويلة، ومن توفيق منافع متعارضة، ويمكن ان نقول ان الحرب هي نهاية الخصومات: ويحصل القتال غالبا من شدة كرهنا للخصام.

فالحرب راحة للحكومات، حتى الديمقراطية منها، فنتيح الحرب لها فرض السكوت والخضوع والطاعة وانواع من الحرمان على مواطنيها...فتعلق الانتخابات والرؤساء لا يمكن عزلهم" (١٠) . وهذا ما يجري كثير اليوم في عالمنا حيث يشعل الحكام حروبا

(١٠) غاستون باتول، هذه هي الحرب،ت مروان العتواني، دار عويدات، سلسلة زدني علماء، ط١

ويقتل ويشرد ويعوق الملايين من اجل مجد زائف للحاكم، ويهمل له بعض المنتفعين او قصيري النظر.

فالصراع الحقيقي والنافع للإنسان هو صراعهم مع الطبيعة وليس مع الانسان، وهو ما يرتقي بالعالم والبشرية ويخدمها. خيارات العالم كثيرة العالم ومن فيه ولكن الصراعات هي التي تستهلك موارده.

حكومات فرنسيس بيكون (*)

يؤكد بيكون على ان الحكومات ثلاث انواع او مراتب، اسونها الحكومة التي جهدها منصب على السيطرة على شعبها، والحكومة التي تحاول زيادة قوتها والسيطرة على الدول الاخرى وتوسيع مساحة الدولة، هي افضل من الاولى ولكن هي ايضا سيئة. ولكن افضل الحكومات هي التي تحاول فرض وزيادة وتوسيع سيطرة الجنس البشري على الطبيعة. وهو افضل طموح للإنسان، والانسان يسيطر على الصناعات والعلوم.^(١١) هنا المفاضلة بين النماذج تحتاج الى دراسة علمية وتمحيص واستقراء للعديد من الامور.

ف نجد ان النموذج الاسبرطي ومعه الكثير من النماذج عبر التاريخ من الحكومات الى اليوم، تفرض سيطرتها بالنار والحديد على شعبها، وتحاول افناء شعبها من اجل

(*) فيلسوف انجليزي . فرنسيس بيكون بالإنجليزية (Francis Bacon) : (م) 22

يناير 9 - 1561 أبريل (1626 فيلسوف ورجل دولة وكاتب إنجليزي، معروف بقيادته للثورة

العلمية عن طريق فلسفته الجديدة القائمة على " الملاحظة والتجريب ". من الرواد الذين انتبهوا

إلى غياب جدوى المنطق الأرسطي الذي يعتمد على القياس

(١١) د قيس هادي احمد، نظرية العلم عند فرنسيس بيكون ، ط٢، دار الشؤون الثقافية، بغداد،

١٩٨٦، ٨٥

السيطرة على جيرانها وافتعال الحروب بمرر او من غيره. فمن سيطرة جالوت واشور واسبرطة وجنكيزخان ونابليون وحتى المانيا واليابان قبل الحرب العالمية الثانية.

والنموذج الاخر كما مر علينا هو التربية الاثينية، وكثير من دول العالم اليوم التي ارتقت اقتصاديا وعلميا. تلك التي تركت الصراع واتجه الى الصناعة والزراعة والتجارة. حيث اتجهت للصراع مع الطبيعة، مع المعادن مع الارض وسلاحها في ذلك العلوم والبحث العلمي. من اجل التغلب على الطبيعة. فانتصر الانسان، فاصبح الانسان سيد الطبيعة. لا تهمة المسافات بتطور الاتصالات والتواصل وسرعة التنقل بالطائرات والسيارات، وسخرت الطبيعة بان لا يشعر بالحر والبرد بما وفره العلم من تكييف صيفا وشتاء.

هناك انظمة اخذت عملية خدمة الشعب، او جعلت الشعب يعيش ويمني نفسه بأحلام وردية بعد النصر. واخذوا ذلك بمنظار او اتجاه معكوس، حيث ان دولا في زمن ما ارادت ان تسيطر على جيرانها والعالم، للوصول للتطور والرفاه الاقتصادي لشعوبها. ولكن الحرب قد جرت عليها ويلات، حتى ان بعض الدول فقدت حريتها واحتلت، مثل فرنسا زمن نابليون، والمانيا وايطاليا واليابان في الحرب العالمية الثانية.

يقول فرنسيس بيكون " ليس ثمة ما هو اسوأ من تمجيد الخطأ، فحين تؤله الحماسة فذلكم بلاء يحيق بالفكر^(١٢) . فالاعتراف بالخطأ فضيلة.

الحاجة الى فكر فرنسيس بيكون

فرنسيس بيكون فيلسوف انكليزي فكره شكل ثورة على المنطق الارسطي ومنهجية القدماء في البحث العلمي، ووضع منهجية البحث التجريبي، وحاول بناء عالم مثالي

(١٢)فرنسيس بيكون، الاوركانون الجديد، ص ٣٣-٣٤

يقوم على التجربة والبحث للسيطرة على الطبيعة وتسخيرها لخدمة الانسان. وحاول ايجاد الحلول لكثير من المشاكل لمشاكل العالم. وكتب لبعض معالجاته النجاح.

هنا اقرب الحلول للمشاكل السابقة نجدها في يوتوبيا فرنسيس بيكون الفيلسوف الانجليزي، ومدينة العلم الفاضلة عنده (اطلنطس الجديدة) التي جعلها على صورة يحلم بها كل عالم. ويقول عنه الكاتب الانجليزي ولز، "اعظم خدمة يقدمها بيكون للعلم، حيث قدم صورة لمجتمع وجد فيه العلم اخيرا مكانة جديرة به، وهذه المدينة الفاضلة روعة في الخيال، اوحى للكثير من العلماء ليكافحوا للوصول للمعرفة والاختراع والقضاء على الجهل والمرض"^(١٣) حيث جعلها صورة لأطلنطس القديمة التي ذكرها افلاطون في محاورتيه تيمائوس وكريتياس.

اليوم نحن في حاجة ليوتوبيا بيكون(اطلنطس الجديدة)علما انها مستحيلة التحقق بالكامل، ولكن ممكن ان نحصل على جزء من مميزات تلك الحكومة المثالية. وتمجيدها للعلم وخدمة الانسان ومحاولتها السيطرة على الطبيعة ونبذ الصراعات مع البشر.

ومصطلح يوتوبيا ان "توماس مور Thomas More (1478-1535) هو اول من صاغ كلمة يوتوبيا «اوتوبيا» في نطقها اليوناني، حيث اشتقها من الكلمتين اليونانيتين Ou بمعنى «لا» و Topos بمعنى مكان وليكون المعنى الجديد « ليس

(١٣) ول ديورانت، قصة الفلسفة، ترجمة فتح الله المشعشع، دار المعارف بيروت، ١٩٧١، ص

في مكان" وعندما اسقط حرف O وكتبت الكلمة في باللاتيني Utopia ووضعها عنوانا لكتاب له. (١٤)

انه نظام يحلم به كل انسان محب للعلم انها قمة المثالية ان يكون الحكام بهذه المواصفات، فهو يرى في الواقع انه لا توجد حكومة في اطلنطس الجديدة لان هؤلاء الحكام مشغولون في بسط نفوذهم على الطبيعة، والسيطرة عليها اكثر من الرغبة في السيطرة على الشعب. ان الغاية من مؤسساتنا معرفة اسباب الاشياء وحركاتها الخفية، وتوسيع رقعة الامبراطورية الانسانية، للتأثير على كل شيء ممكن....وسنجد الحكام مشغولين في دراسة النجوم، والانتفاع بقوة مساقط المياه في الصناعة وتطوير البخار والغازات واجراء التجارب على الحيوانات لزيادة المعرفة بالعمليات الجراحية...ونقلد الطيور في طيرانها ونصنع سفنا تغوص تحت الماء(١٥).

حيث سيكون اعتبر ان اطلنطس الجديدة فيها بيت سليمان وهذا اعتبره مثل برلمان لندن، وهو مقر حكومة الجزيرة، ولكن ليس فيها حكاما سياسيين منتخبين متغطرسين، وليس هناك احزابا وتجمعات لغوا ونفاق، وتتعدم الخطب السياسية والنشرات او مؤتمرات ولا نشرات ومطبوعات. لان فكرة اشغال المناصب بهذه الطريقة لم يفكر بها اهل الجزيرة، حيث ان طريق الشهرة مباح لجميع سكان الجزيرة عن طريق البحث العلمي(١٦). ويصف حكومة الجزيرة بقوله) انها حكومة الشعب وللشعب وتديرها الصفة المختارة من الشعب، حيث يتولى امورها الفنيون والمهندسون والمعماريون

(١٤) ماريا لويزا برنيري، المدينة الفاضلة عبر التاريخ، ترجمة د عطيات ابو السعود، مراجعة د عبدالغفار مكاي، سلسلة عالم المعرفة ٢٢٥ ايلول ١٩٩٧، المجلس الوطني للثقافة والآداب، الكويت، ص٩

(١٥) ول ديورانت، قصة الحضارة، ص٣٣-٣٤

(١٦) ول ديورانت، المصدر السابق، ص١٧٣.

وعلماء طبقات الارض والبيولوجيون والاطباء ورجال الاقتصاد وعلماء الاجتماع والفلاسفة^(١٧) . وفضل وصف لها انها في الواقع لاتوجد حكومة في اطلنطس الجديدة لان هؤلاء الحكام مشغولين في بسط سلطة الجنس البشري على الطبيعة والسيطرة عليها، اكثر من رغبتهم في السيطرة على الشعب. ان الغاية من مؤسساتنا البحث لمعرفة اسباب الاشياء والحركة الخفية فيها، وتوسع امبراطورية الجنس البشري الى ابعد حد^(١٨).

اطلنطس الجديدة حلم علماء اليوم

وفرنسيس بيكون يؤكد على ان النظام المعمول به في المدارس هو يعمل على تخريج علماء واساتذة لا مخترعين^(١٩). فالمخترع هو من يريد تغيير كل الانظمة والقوانين، من يبحث عن تغيير في المفاهيم والقوانين عبر الانتباه على كل ملاحظة، وافترض فروض واثباتها بالبحث، وتغيير القوانين والمفاهيم القديمة عبر استخدام منهج علمي تجريبي، فلا وجود لقانون كقدس اذا ما ثبت بالبحث ان هناك افضل منه او يدحض الفرضية السابقة. والفرق بين العالم والمخترع مثل الفرق بين المدير والقائد، فالمدير محدد ومحكوم بالقوانين التي يسير ضمن صلاحياتها ولا يريد تغييرها، بينما القائد له صلاحيات اوسع يستطيع تجاوز بعض القوانين التي تعيق تحقيق الهدف.

في كثير من اولويات بعض المعتقدات الدينية ما ألم بالعالم اليوم شيء خارج كل التوقعات والحسابات وهذا دليل على هشاشة النظام في العالم.

(١٧) اول ديورانت ص ١٧٤

(١٨) اول ديورانت، ١٧٤ .

(١٩) اول ديورانت ص ٣٣-٣٤.

ان طرق ووسائل النقل، والتواصل والاتصال، جعلت العالم كقرية صغيرة، بل اصبح سفينة فيها تتركب كل البشرية، وكل عيب فيها يجعل الجميع في خطر، وواجب الجميع المحافظة عليها. سواء من مشاكل التلوث والاحتباس الحراري او الاوبئة والامراض او الحروب والازمات، فالمشكلة التي في شرق العالم يعاني منها غربة. اصبح العالم كله كالجسد الواحد،

ان المعتقدات العلمية او القوانين العلمية القديمة المعروفة يجب ان تتغير، ولأتبقى تلك المبادئ ثابتة. وهذا توماس كون صاحب كتاب بنية الثورات العلمية يقول عن دور الاكتشاف في هدم معتقدات وبناء غيرها "ان التغيرات التي انطوت على الاكتشافات السابقة، كانت جميعها عوامل بناء، مثل ماهي عوامل هدم، وما ان يتم استيعاب الاكتشاف، حتى يصبح في استطاعة العلماء تفسير نطاق اوسع من الظواهر الطبيعية او تفسير بعض الظواهر التي كانت معروفة قبلا تفسيراً اكثر دقة. بيد ان هذا المكسب لم يتحقق الا بعد اسقاط بعض المعتقدات او الاجراءات المعيارية السابقة، وكذلك في نفس الوقت، بعد تبديل مكونات النموذج الارشادي السابق بغيرها"^(٢٠). لقد يكون تجاوز بعض القوانين ضروريا لتقدم العلم عبر هدمها وبناء قوانين جديدة لثبوت فشل القديم منها.

وفرنسيس بيكون له الباع الطولى في وضعه لأفضل نظام مثالي يوتوبي في اطلنطس الجديدة. وكذلك وضعه مناهج بحث جديدة غيرت من قوانين البحث العلمي، وبيت سليمان الذي هو مقر الحكومة في جزيرة اطلنطس الجديدة كما يراه بيكون مثل مقر البرلمان في لندن، لكنه لا يضم سياسيين متغترسين منتخبين، ولا يعرف لغوا ولا

(٢٠) توماس كون، بنية الثورات العلمية، ت شوقي جلال، سلسلة عالم المعرفة ١٦٢، الكويت كانون اول ١٩٩٢ ص ١١١.

نفاقا ولا احزاب ولا اجتماعات ولا مؤتمرات وحملات ولا نشرات توزع ولا مطبوعات، انها حكومة يتولى امرها المهندسون والفلكيون وعلماء الارض والبيولوجيون والاطباء، ورجال الاقتصاد وعلماء الاجتماع والفلاسفة (٢١).

انها قمة المثالية ان يكون الحكام بهذه المواصفات، ولكن الإجابة على ذلك في قول بيكون: الواقع انه لا توجد حكومة في اطلنطس الجديدة لان هؤلاء الحكام مشغولون في بسط نفوذهم على الطبيعة، والسيطرة عليها اكثر من الرغبة في السيطرة على الشعب. ان الغاية من مؤسساتنا معرفة اسباب الاشياء وحركاتها الخفية، وتوسيع رقعة الامبراطورية الانسانية، للتأثير على كل شيء ممكن. ... وسنجد الحكام مشغولين في دراسة النجوم، والانتفاع بقوة مساقط المياه في الصناعة وتطوير البخار والغازات، واجراء التجارب على الحيوانات لزيادة المعرفة بالعمليات الجراحية...ونقلد الطيور في طيرانها ونصنع سفنا تغوص تحت الماء (٢٢). ان رؤية بيكون الثاقبة حصل جزء منه في عالمنا. ولكن نطمح ان يتحقق الاكثر. وحلمه بهذه الحكومة المثالية لم نجده لحد اليوم في العالم.

من الصراع الى الحرب

فالصراع يحمل عدة اوجه، صراع سياسي او ثقافي او تنافس تجاري او صناعي. لكن ان يكون ان ما يجري في العالم يدعو الى اعادة الحسابات والبحث عن حلول، فالصراع المسلح والاستعدادات له تستنزف اموال العالم، فالقصد منها من اجل المال او من اجل السيطرة، ولكن ذلك غالبا يجلب الخسارة للجميع، ففي الحرب لا

(٢١)ول ديورانت، ١٧٤ .

(٢٢)ول ديورانت، ١٧٤ .

منتصر. والكل خاسر. ويجلب التعاسة لشعوبهم. ودليلنا هو اللجوء الى التاريخ، لان التاريخ هو الميدان الحقيقي للتجربة، والبحث عن الطريق الاسلم للبشرية. وهذا ما يمكن اثباته عبر دراسة الصراعات والحروب عبر التاريخ^(٢٣). هذا ما يمكن ملاحظته على الشعوب المحاربة والشعوب التي تطلب السلام عبر التاريخ

ان الحرب كانت امرا طبيعيا على مر العصور، ليس بحاجة لتبرير. واهوالها كانت امرا معترفا بها...والقتال الى عصر قريب يعتبر من امور الحياة المطلوب القيام بها من الانسان...وكان الالتحاق بالجيش حتى القرن التاسع عشر يعتبر المهنة الوحيدة للنبل^(٢٤). وهذا ما يجب ان ينبذه العالم والعالم يعج بأمثلة واقعية كيف ان دولا عالجت مشاكلها بحلول بسيطة وجديرة بالافتداء بها، فكما تاريخ العلم هو اساس العلم ، كذلك لا بد ان يعتمد التاريخ اساس للتجارب البشرية. بدل تخبط العالم في صراعات لا طائل منها، والحكومات ونقسيماتها مفتعلة، يقسمون البشرية بالطول او بالعرض. حسب اللغة او القومية او المعتقد او الجغرافيا وحسب اهواء ومصالح القادة، وامراضهم النفسية وعدوانيتهم. وتحقيق مصالحهم.

ويمكن من خلالها البرهنة على دعوت فرنسيس بيكون تسخير العلم من اجل سيطرة الانسان على الطبيعة وتسخيرها، فميز بين ثلاث مجموعات تمثل طموحات الجنس البشري.

(٢٣) ينظر رشيد السامرائي، رسالة دكتوراه ص .

(٢٤)ارنولد توينبي، الحرب والمدنية، ص ٢٤-٢٥.

تقسيم الحكومات حسب راي بيكون

- ١- المجموعة الاولى: الحكام او الناس الذين يطمحون الى فرض سيطرتهم على موطنهم الاصلي، وهم نوع سيء ومنحط ومبتذل من البشر.
 - ٢- والمجموعة الثانية: هم من يريد زيادة قوة وسيطرة بلدهم على البشر خارج حدود بلاده هو ايضا سيء وجشع ولكنه افضل من سابقه.
 - ٣- ولكن افضل البشر وانبلهم: هم من يحاولوا مد وتوسيع سيطرة ونفوذ الجنس البشري على الطبيعة. وبها تقوم سيطرة الانسان على صناعة الاشياء بواسطة العلوم، وبهذا تحكم الطبيعة^(٢٥). هذه النماذج قد تكون موجودة في وقت واحد في اماكن ودول متعددة في العالم.
- ان ذلك يدل على فكر بيكون الانساني ومعارضته او عدم رغبته في الحركة الاستعمارية التي كانت سائدة في اوربا، وطموح انكلترا في التوسع والسيطرة وفرض سيطرتهم على عالم ما وراء البحار وهذا الصوت لا أحد يسمعه في ذلك الوقت يوم الدعوات للسيطرة والتوسع لعالم ما وراء البحار، واراد فرض سلطان العلم على العالم، لكي ينهض بالعالم مما هو فيه من تخبط.
- وبيكون له ثقة كبيرة بالإنسان وسيطرته او غزوه للطبيعة. فيقول "انني اراهن بكل شيء على انتصار الفن على الطبيعة"^(٢٦). اي انتصار الانسان وفنونه العلمية في مختلف العلوم.

(٢٥) فرانسيس بيكون، الاورجانون الجديد، ترجمة عادل مصطفى، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة

٢٠١٧م ص ٨١.

(٢٦) ول ديورانت ، قصة الحضارة، ص ١٥٩.

مقياس العلم الحقيقي قدرته على الاثمار

هذا المبدأ هو الذي يجب ان يحكم العالم، اشخاص هدفهم السيطرة على الطبيعة بواسطة سلطان العلم، وليس السيطرة على البشرية بالمدفع والقتل والنار والحديد.

ويقول بيكون "أننا لا يمكن ان نسود الطبيعة الا اذا درسنا قوانينها، لذلك دعنا نتعلم قوانين الطبيعة نكون اسياذ عليها، لأننا بجهلنا قوانينها نكون عبيدا لها، والعلم هو الطريق للحياة السعيدة الفاضلة^(٢٧). ربط السعادة بالسيادة على الطبيعة وهذا هو الذي حصل بعد دراسة الطبيعة وتفسير الماضي من احداث الطبيعة، اصبحنا باستعمال ادوات تفسير الماضي نتنبأ بالمستقبل الطبيعي للأحداث. وتطويع الطبيعة ايسر وانفع من محاولة تطويع البشر والدول. واغلب حروب العالم هي بسبب زيادة السكان في بعض الدول، ومحاولتها السيطرة على مناطق جديدة في العالم، لتأمين مصدرا للمواد الاولية، واسواق جديدة لتصرف المنتجات.

وللتحقق من كلام بيكون لندرس نموذجين كانا في اليونان، يمثلان سبيل مواجهة مشاكل كثرة السكان والحاجة للموارد كما هو الحال في عالمنا اليوم، والدول تتكالب على السيطرة على تلك الموارد، كيف واجهت إسبرطة وأثينا تحدي كثرة السكان وقلة الأراضي اتبعوا أسلوبين مختلفين لحل هذه المشكلة، أحدهما كان ناجحاً.

ويؤكد الفيلسوف الفرنسي ادغار موران على امرا قريب مما قاله بيكون من خلاله يريد مشاركة اكبر من الدولة في ادارة المستشفيات والمدارس والجامعات، واليوم الريح المادي هو الاساس في عملها. ولا يمكن القبول به، ويجب بناء مواطنين ليكونوا

(٢٧) ولديورانت المصدر السابق، ١٥٢.

اصحاب عقول، بناء على الخدمات الحكومية التي اندثرت في النظام الرأسمالي (٢٨). حيث ان الشركات الخاصة تبحث عن الربح وليس على فائدة المجتمع

المخلص عند (كولن ولسن) هو اللانتمى، (جوهر مشكلة اللانتمى يكمن في الحاجة إلى التفوق على النفس) (٢٩). إنه يتغلب على شهوات النفس والعمل حسب ما يمليه عليه عقله. وهذا حال المبدعين من علماء او انبياء او مبدعين في مختلف المجالات. فقد يكون غريبا عن واقعه في افكاره، وقد يتعرض لانواع من المضايقة او الاهمال، وذلك لان المجتمع قد لا يستوعب أفكاره وليهضمها.

ونجد أن رأي توينبي مطابق لرأي ميكافيللي في كتابه المطارحات في النتيجة من الحرب، حيث يقول: " أن غرض الذين يشنون الحروب دائما الحصول على الثراء وإفقار أعدائهم، وعلى هذا فإن الدولة تمنى بالفقر والضعف من جراء الحرب، على الرغم من انتصارها، وتكون أسوأ حالا منها في النصر من الهزيمة" (٣٠) .

ان جغرافيا العالم تسع الجميع، وخيراته تكفي الجميع، وان المنافسة في العالم دائما تكون على مصادر الطاقة، سواء فحم حجري او نפט او مصادر اخرى. ولكن اهمية هذه المصادر ليست ثابتة بال قد تتغير وتزول اهميته فلماذا الصراع حوله. مثل الفحم الحجري سابقا والنפט اليوم، فقد يكتشف مصدر جديد نظيف للطاقة، وتزول اهمية النفط.

(28)(<https://www.aljazeera.net/news>)

(٢٩) كولن ولسن سقوط الحضارة، ص ١٣٩.

(٣٠) ميكافلي: مطارحات ميكافلي، ترجمة: خيري حماد، دار الافاق، بيروت، ١٩٨٢ ص ٨١.

فالعالم لا يعاني من ازمة طاقة بل يعاني من ازمة او مشكلة في نقل الطاقة. والعلم قد يحل هذا الاشكال في يوم ما، وتنتهي اهمية النفط كمصدرا للطاقة. رغم (انه قد تبقى اهميته الصناعة). فلماذا الصراع حول النفط ومكامنه وقيمته مستقبلا قد تصبح مثل قيمة الفحم الحجري اليوم.

ان العالم اليوم لس امامه الا ان يوحد جهوده، ويكون قادة العالم على يقين ان لا طريق امامهم الا مساعد بعضهم البعض لإنقاذ البشرية، ان فايروس كورونا لم يأتي ليرحل بسرعة كما نتوقع. وهو مسلح بهذه الاسلحة ووسائل النقل والتخفي والخداع للجهاز المناعي.

النتائج

١- من خلال دراسة نموذجي اسبرطة واثنا في مواجهة مشاكل زيادة السكان، تبين ان افضل حل هو الحل الاثني لأنه حاول السيطرة على الطبيعة، بالزراعة وتطويع المعادن ونقلها، لخدمة الانسان، وجعلوا بذلك الاثنيين حياتهم ميسرة وازدهرت نتيجة لذلك العلوم والفنون والاداب والفلسفة. والشعوب الاخرى تسعد بهذه السلع. اما الحل الاسبرطي فجعل حياة الشغب الاسبرطي جحيما، وكذلك حياة الشعوب المجاورة ومنهم المسينيين لأنه جعل كل الشعب تحت السلاح حتى النساء، ويخدمون سيذا مستبدا. ويريد قهر ارادة شعب اخر هم اخوان لهم.

٢- يجب ان تتجنب كثير من الحكومات اليوم اتباع المنهج الاسبرطي لانه لا يجر الا الولايات والخراب في الاخر لشعوبها، فنجد دولا رهنت مواردها وجهودها وطاقتها في تصنيع الاسلحة وتخزينها وتهديد الاخرين.

٣- وصف فرنسيس بيكون للحكومات، جيدها وسيئها، ونموذجه في بناء دولة مثالية (اطلنطس الجديدة) رغم صعوبة تحقيقه في الواقع. ولكنه يقترح اكثر ان لم نقل يتطابق مع النموذج الاثني.

٤- ضرورة اعطاء دفعة للبحث العلمي عن طريق زيادة المبالغ المخصصة للتربية والتعليم وبناء الانسان صحيا وعلميا.

مصادر البحث:

- ١- ارنولد توينبي، الحرب، الحرب والمدنية، ترجمة احمد مجمود سليمان، مراجعة د. محمد انيس، سلسلة الالف كتاب الاولى - القاهرة ١٩٦٤م.
- ٢- ارنولد توينبي، بحث في التاريخ، ج ١، ترجمة طه باقر، مطبعة وزارة المعارف، بغداد ١٩٥٥.
- ٣- اندريه روبرت بيرن، تاريخ اليونان، ترجمة محمد توفيق حسين، كلية الاداب ج بغداد ، بغداد، ١٩٨٩، ص١٢٥.
- ٤- توماس كون، بنية الثورات العلمية، ت شوقي جلال، سلسلة عالم المعرفة ١٦٢، الكويت كانون اول ١٩٩٢
- ٥- رشيد احمد السامرائي، تصور ارنولد توينبي وليدل هارت للتاريخ بين الالية التربوية والتفسير العلمي، اطروحة دكتوراه، جامعة حلوان ٢٠١٨،
- ٦- غاستون باتول، هذه هي الحرب، ترجمة مروان العتواني، دار عويدات، سلسلة زدني علما، ط١،، بيروت
- ٧- فرنسيس بيكون، الاورجانون الجديد، ترجمة عادل مصطفى، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة ٢٠١٧م
- ٨- كولن ولسن سقوط الحضارة، ترجمة انيس زكي حسن، دار الاداب، بيروت، ١٩٧١
- ٩- ماريا لويزا برنيري، المدينة الفاضلة عبر التاريخ، ترجمة د عطيات ابو السعود، مراجعة د عبد الغفار مكاوي، سلسلة عالم المعرفة ٢٢٥ ايلول ١٩٩٧، المجلس الوطني للثقافة والآداب، الكويت.
- ١٠- ميكافلي: مطارحات ميكافلي، ترجمة: خيرى حماد، دار الافاق، بيروت، ١٩٨٢.
- ١١- ول ديورانت، قصة الفلسفة، ترجمة فتح الله المشعشع، دار المعارف بيروت، ١٩٧١

12- <https://www.aljazeera.net/news>